الخطبة الأولى: ورجلان تحابا في الله

الحمد للهِ الذي ظهرَ لأوليائِه بنعوتِ جلالِه، وتحبَّبَ إلى عبادِه بما أسداهُ إليهم من إنعامِه وإفضالِه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ولا معينَ في تدبيرِه وأفعالِه. وأشهد أن محمدًا عبده ورسولُه نبيٌ أنعم اللهُ على جميعِ أهل الأرضِ ببَعْثهِ وإرسالِه، صلى اللهُ عليه وعلى جميع أصحابه وآله وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بعدُ: فأوصيكم ...

منحةٌ ربانية، وسرٌّ مِن الأسرارِ الإلهيةِ، التي قد لا يُدرِك العبد سببَها، إلا أنه يشعرُ بأَثرِها إنَّها المحبةُ في اللهِ تعالى، فهي من أعظمِ شعائرِ الدِّينِ، وأوثقِ عرى الإيمانِ.

المحبةُ في اللهِ هي أن يُحبَّ المرءَ ويميلَ إليه، لا لِعَرَضٍ ولا لِغَرَضٍ؛ مِن مالٍ أو منصبٍ، أو جاهٍ أو مكانةٍ، أو غيرِها، بل مِن أجلِ ما يتَّصِفُ به من طاعةٍ للهِ تعالى وتقوى وتعظيمٍ لحدودِ اللهِ وأوامره، قال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:... وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ..." خ.م.

قال النَّوَوِيُّ: «مَعْنَاهُ اجْتَمَعَا عَلَى حُبِّ اللَّهِ، وَافْتَرَقَا عَلَى حُبِّ اللَّهِ، أَيْ كَانَ سَبَبُ اجْتِمَاعِهِمَا حُبَّ اللَّهِ، وَاسْتَمَرَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَفَرَّقَا مِنْ مَجْلِسِهِمَا، وَهُمَا صَادِقَانِ فِي حُبِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا صَاحِبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ حَالَ اجْتِمَاعِهِمَا وَافْتِرَاقِهِمَا». اهـ .

وقال ابنُ رَجَبٍ «فإنَّ الهَوَى دَاعٍ إلى التَّحَابِّ في غيرِ اللَّهِ؛ لِمَا في ذلك من طَوْعِ النَّفْسِ أغراضَها من الدُّنيا، فالمُتحابَّانِ في اللَّهِ جاهدا أنفسَهما في مخالفةِ الهَوى؛ حتَّى صار تحابُّهما وتوادُّهما في اللَّهِ، من غيرِ غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ يَشُوبُه، وهذا عزيزٌ جدّاً.

ولن يتحابَّا في اللَّهِ حتَّى يجتمعا في الدُّنيا في ظِلِّ اللَّهِ المَعْنَوِيِّ، وهو تأليفُ قلوبِهما على طاعةِ اللَّهِ، وإيثارُ مرضاتِه، وطَلَبُ مَا عندَه، فلهذا اجتمعا يومَ القيامةِ فِي ظِلِّ اللَّهِ الحِسيِّ». اهـ .

عبادَ اللَّهِ: إنَّ للمَحَبَّةِ في اللَّهِ فضائلَ عظيمةً: منها: أنَّ المَحبَّةَ في اللَّهِ أوثقُ عُرَى الإيمانِ:

فعنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟»، قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟»، قَالُوا: الزَّكَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ، وَمَا هِيَ بِهَا؟»، قَالُوا: صِيَامُ رَمَضَانَ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟»، قَالُوا: الْحَجُّ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالُوا: الْجِهَادُ، قَالَ: «حَسَنٌ، وَمَا هُوَ بِهِ؟» قَالَ: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» أحمدُ.

وكان الحبُّ في اللَّهِ والبُغْضُ فيه أَوْثَقَ عُرَى الإيمانِ لأنه لا تَتِمُّ محبَّةُ اللَّهِ ورسولِه إلَّا بمحبَّةِ أوليائِه وموالاتِهم، وبُغْضِ أعدائِه ومعاداتِهم.

ومن فضائلِ المَحبَّةِ في اللَّهِ :أنها من أسبابِ ذَوْقِ حلاوةِ الإيمانِ: قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ... » خ.م.

قال السِّنْديُّ: «حَلَاوَةُ الإيمانِ: انشراحُ الصَّدْرِ به، ولَذَّةٌ في القلبِ تُشْبِهُ لَذَّةَ الشيءِ الحُلْوِ في الفَمِ، وللإيمانِ لَذَّةٌ في القلبِ تُشْبِهُ الحَلَاوَةَ الحِسِّيَّةِ؛ بل رُبَّما تَغْلِبُ عليها حتى يُدْفَعَ بها أشدُّ المَرَاراتِ» اهـ .

والإيمانُ هو غذاءُ القلوبِ وقوَّتُها؛ كما أنَّ الطعامَ والشرابَ غذاءُ الأبدانِ وقوَّتُها، وكما أنَّ الجسدَ لا يجدُ حَلَاوَةَ الطعامِ والشرابِ إلَّا عندَ صحتِه، فإذا مَرِضَ لم يجدْ حَلَاوَةَ ما ينفعُه من ذلك، بل قد يَسْتَحْلِي ما يضرُّه، وما ليس فيه حَلَاوةٌ لغَلَبَةِ المَرَضِ عليه، فكذلك القلبُ: إن سَلِمَ من مرضِ الأهواءِ المُضِلَّةِ والشهواتِ المُحرَّمةِ وجد حَلَاوَةَ الإيمانِ حينَئِذٍ، ومتى مَرِضَ وسَقِمَ لم يجدْ حَلَاوَةَ الإيمانِ، بل يَسْتَحْلِي ما فيه هلاكُه من الأهواءِ والمَعاصي.

ومن فضائلِ المَحبَّةِ في اللَّهِ:أنها سببٌ لِاكتسابِ محبَّةِ اللَّهِ: فعن أبي هريرةَ ﷺ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَّهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِّي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» م.

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتىً شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ؛ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَاللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَاللَّهِ، فَقَالَ: أَاللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَاللَّهِ، فَقَالَ: أَاللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَاللَّهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ» مالكٌ وغيرُه.

ومن فضائلِ المَحبَّةِ في اللَّهِ: الِاستظلالُ بظِلِّ اللَّهِ؛ كما في حديثِ السبعةِ الذي سَلَفَ ذكرُه، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ -يَوْمَ الْقِيَامَةِ-: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» م.

ومن فضائلِ المَحبَّةِ في اللَّهِ: أنها سببٌ لدخول الجنةِ، والنَّجاةِ من النارِ: قال ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» م.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». خ. م . وهذا حديثٌ عظيمٌ، يدلُّ على أنَّ مَن أحبَّ عبداً للهِ كان معه يومَ القيامةِ، وإن لم يعملْ بعملِه، وفيه حثٌّ على محبَّةِ الصالحينَ، الأحياءِ منهم والمَيِّتِين. فاللهمَّ ارزقنا حبَّك ، وحبَّ من يُحِبُّكَ وحبَّ كلِّ عملٍ يقرِّبُنا إليك. بارك...

الخطبةُ الثانيةُ

الحمدُ للَّهِ ...أما بعد: فمعاشرَ المُسلمين: إنَّ للمَحبَّةِ في اللَّهِ لوازِمَ.

فمِن لوازِمِها: أنها راسخةٌ لا تتغيَّرُ بالعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ، ولا يُؤَثِّرُ عليها جـَفَاءُ المَحبوبِ في اللَّهِ؛ فهي لا تزيدُ بالبرِّ، ولا تَنْقُصُ بالجفاءِ، وذلك لأنها للَّهِ، والمُؤمنُ الصادقُ لا يُؤْثِرُ شهواتِه على مَحَابِّ اللَّهِ

قال ﷺ (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ،

فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).أبو داود.

عن ابنِ عباسٍ ﷺ قال: "من أحبَّ في اللهِ وأبغضَ في اللهِ، ووالى في اللهِ، وعادى في اللهِ، فإنَّما تُنالُ وَلايةُ اللهِ بذلكَ، ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمانِ وإن كثرتْ صلاتُه وصومُه، حتى يكونَ كذلكَ، وقد صارتْ جميعُ مؤاخاةِ الناسِ على أَمرِ الدُّنيا، وذلك لا يجدي على أهلِه شيئًا"

قال شيخ الإسلام: مَنْ أَحَبَّ إِنْسَاناً لِكَوْنهُ يُعْطِيهِ فَمَا أَحبَّ إِلَّا الْعَطَاءَ وَمَنْ قَال إِنَّهُ يُحِبُّ مَنْ يُعْطِيهِ للهِ فَهَذَا كَذِبٌ وَمِحَالٌ وَزورٌ مِنَ الْقَوْل ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ إِنْسَانا لِكَوْنهِ يَنْصُرُه إِنَّمَا أَحبَّ النَّصْرَ لَا النَّاصِرُ ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ اِتِّبَاع مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ فَإِنَّهُ لَمْ يُحْبَ فِي الْحَقِيقَة إِلَّا مَا يَصِل إِلَيْهُ مِنْ جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ فَهُوَ إِنَّمَا أَحَبَّ تِلْكَ الْمَنْفَعَةَ وَدَفْعَ الْمَضرَّةِ وَلَيْسَ هَذَا حُبّاً للهِ وَلَا لَذَّاتِ الْمَحْبُوب وَعَلَى هَذَا تَجَرِيّ عَامَّةُ مَحَبَّةِ الْخَلْقِ بَعْضَهُمْ مَعَ بَعْضٍ لَا يُثَابُون عَلَيْهُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، بَلْ رُبَّمَا أَدَّى هَذَا لِلنِّفَاق وَالْمُدَاهِنَة فَكَانُوَا فِي الْآخِرَةِ مِنَ الأخلاَّءِ الَّذِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ إِلَّا المتقين،

وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَة اِلْحَبُ فِي اللهِ ولله وَحَدّهُ، وَأَمَّا مَنْ يَرْجُو النَّفْعَ وَالضَّرَّ مِنْ شَخْصٍ ثُمَّ يَزْعُم أَنَّهُ يُحِبّهُ للهِ فَهَذَا مِنْ دسائسِ النُّفُوسِ وَنِفَاقِ الْأَقْوَال"

ومن لوازِمِ مَحبَّةِ المَرءِ في اللَّهِ: حبُّ الخيرِ له، والنُّصْحُ له، والذَّبُّ عنه، وإيثارُه، وتَفَقُّدُ حاجتِه، وإعانتُه على أمرِ دنياه. قَالَ ﷺ(إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ) الترمذي.

اللهمّ اجعلنا من المُتحابِّين فيك، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ والمُسلمين ...